

NO 181516
Page 218-233



ISSN 2276-8351

القرطاس

مجلة الدراسات اللغوية والأدبية

تصدر باللغة العربية

العدد الثاني

أغسطس ٢٠١٣م

من

قسم اللغة العربية، كلية الآداب،

جامعة ولاية كلونا، نيجيريا

غزو العدو الفكري تجاه اللغة العربية في نيجيريا

الدكتور عثمان إدريس الكنكاوي

ARABIC DEPARTMENT,
KWARA STATE COLLEGE OF EDUCATION,
NIGERIA.

ABSTRACT

Nigeria was of the countries with the large number of Muslims, with Islamic monuments, which attract the minds, has her own Islamic rule before the British colonialism while Arabic was the official tongue, brutal occupation of British make the noblest of its people submissive, that they persecute the Arabic schools, and spotted her from everywhere to eliminate Islam and Muslims. In the first Attempt, the invasions against Arab began military, and when they saw a failure in that, resorting to the invasions of intellectual hide weapons of fighting their enemies. Intellectual invasions against Arabic education in Nigeria is a set of plots and intrigues and attacks of intellectual successive relevant on the Arabic language and its schools old and new in Nigeria, which was apparently addressed to the Arabic schools, but in reality addressed to Islam and the Muslims of the judges on the Arabic education and collapse in the record of inactivity and oblivion. This research is a modest attempt to discuss those that fought the Arabic education in this country. With intellectual battles of the British, the first section in this article is the concept of intellectual invasion, lexical and terminological. Meaning, its origins, forms, manifestations and trends. While the second section addresses the consequences of the historical past of the Arabic language and it's present in Nigeria and then the third section came to discuss aspects of intellectual invasion against Arab education in Nigeria. while the fourth section details the effects of intellectual conquests of the Arabic schools in Nigeria from the effects of intellectual invasion in Quranic schools and primary schools and then in the middle and high schools and in universities and colleges.

مقدمة:

كانت نيجيريا من البلدان التي تتمتع بالعدد الكبير من المسلمين، فيها ما يروق العيون ويجذب العقول من الآثار الإسلامية، ولقد ملَّكها الحكم الإسلامي قبل الاستعمار البريطاني وكان لسانها الرسمي اللغة العربية. ثم جاء الاحتلال البريطاني فكثرت مياهاها وجعل أعزة أهلها أذلة، ذلك أنهم فتتوا العربية ومدارسها، ورصدوا لها من كل مكان للقضاء على الإسلام والمسلمين. وفي أول أمرهم بدعوا يعادون العربية بالغزوات العسكرية، ولما رأوا الفشل في ذلك، لجئوا إلى المؤامرات والغزوات الفكرية التي كانت أخفي الأسلحة يحارب بها الأعداء.

فالمؤامرات أو الغزوات الفكرية للتعليم العربي في نيجيريا عبارة عن مجموعة من الدسائس والمكائد والهجمات الفكرية المتلاحقة ذات صلة بتاريخ اللغة العربية ومدارسها قديماً وحديثاً في نيجيريا، والتي كانت في ظاهرها موجهة إلى العربية ومدارسها لكنها في حقيقتها موجّهة إلى الإسلام والمسلمين للقضاء على التعليم العربي وطيّه في سجل الخمول والنسيان.

فإن هذا البحث محاولة متواضعة لمناقشة تلك المؤامرات والغزوات الفكرية التي حارب بها البريطانيون التعليم العربي في هذه البلاد. فالمبحث الأول في هذه المقالة عبارة عن مفهوم الغزو الفكري، معناه المعجمي والاصطلاحي، نشأته، أنواعه، مظاهره واتجاهاته. بينما يعالج المبحث الثاني التبعات التاريخية لماضي اللغة العربية وحاضرها في نيجيريا ثم جاء المبحث الثالث لمناقشة مظاهر الغزو الفكري للتعليم العربي في نيجيريا. وفي المبحث الرابع تفصيل لآثار الغزوات الفكرية للمدارس العربية في نيجيريا ابتداء من آثار الغزو الفكري في المدارس القرآنية والابتدائية ثم في المدارس الإعدادية والثانوية ثم في الجامعات والمعاهد العليا.

المبحث الأول: مفهوم الغزو الفكري:

أولاً: معنى الغزو الفكري المعجمي

الغزو الفكري مصطلح مركب من كلمتين هما: الغزو والفكر، وأما الغزو: فهو قصد الشيء وإرادته وطلبه^(١)، ويقال غزا العدو غزواً وغزوانا أي سار إلى قتالهم وانتهابهم في ديارهم^(٢). وأما الفكر: فهو إعمال النظر أو الخاطر في شيء أو إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، والتفكر هو التأمل^(٣).

فبهذا المعنى اللغوي لمادتي هذا المركب التوصيفي يتبين لنا أن معنى الغزو الفكري في الدلالة اللغوية هو قصد الشيء وإرادته وطلبه مع تردد القلب وإعمال النظر الثاقب فيه.

أما معناه الاصطلاحي: فلقد عرفه الباحثون بعدة تعريفات يوضح بعضها بعضاً في فهم المراد بالغزو الفكري. ومن تلك التعريفات ما يلي:

الغزو الفكري: مصطلح حديث يعني مجموعة من الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة^(٤).

ويقول الآخر من الباحثين بأنه: اتخاذ أمة من الأمم مناهج التربية والتعليم لدولة من هذه الدول الكبيرة فتطبقها على أبنائها وأجيالها، فتشوه بذلك فكرهم وتمسح عقولهم، وتخرج بهم إلى الحياة، وتكون تبعيتهم لأصحاب تلك المناهج الغازية مع الاحترام الشديد للآراء الغازية^(١).

ويقول نذير حمدان بأن الغزو الفكري لم يعن سوي هجمات فكرية متلاحقة ذات صلة بتاريخ المسلمين وحاضرهم، تطرح شبهات وأفكار مزيفة مستوعبة تراث الإسلام وأحوال المسلمين، وقد انطلقت من البلاد الأجنبية شرقية أو غربية على يد المنتصرين وأقلام المستشرقين بعيدة عن العمل العسكري المسلح^(٢).

إذاً، فيمكن القول بأن المقصود من الغزو الفكري هو تلك الوسائل غير العسكرية التي اتخذها أعداء الإسلام لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام مما يتعلق بالعقيدة وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وأنماط وسلوك ولغة دينهم.

ثانياً:- نشأته، أنواعه ومظاهره، واتجاهاته:

أن الدافع الحقيقي إلى نشأة الغزو الفكري الذي هو المؤامرات ضد شيء هو الحصيلة المرة التي خرج بها الصليبيون من حروبهم الأولى مع المسلمين في القرن الخامس والسادس الهجريين (١٠١٢-١٠١١م)، والتي انتهت بالهزيمة الساحقة وعدم تحقيق شيء مما أخرج الصليبيين من بلادهم لتحقيقه وبذلوا فيه الأموال والدماء والنفوس. وفي تلك الحروب الأولى وقع لويس التاسع ملك فرنسا في الأسر بعد هزيمة حملته الصليبية، وبقي سجيناً في المنصورة فترة من الوقت حتى افتداه قومه وأطلق سراحه. وفي أثناء سجنه أخذ يفكر فيما حلّ به وبقومه ثم جمع قريحته وقال لقومه: "إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاثلوهم بالسلاح وحده، فقد هزمتهم أمامهم في معركة السلاح، ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكن القوة فيهم"^(١) وقد سار الأوروبيون بالفعل في طريق تنفيذ وصية لويس حيث أعدوا جيوشاً من

المستشرقين والمنتصرين الذين قاموا بحركة تشويه الإسلام ووصف دستوره بالغموض وتمزيق صفوف المسلمين عن طريق إشاعة النعرات في العالم الإسلامي^(٢).

وأما أنواعه فقد قسمت أمم الكفر من الشرق والغرب أنواع الغزو الفكري إلى ثلاثة أنواع لتسهيل الدرب في تحقيق أغراضهم. والنوع الأول هو الغزو الفكري النصراني الصليبي والثاني هو الغزو الفكري الصهيوني والثالث هو الغزو الفكري الشيوعي الإلحادي.

رأي النصارى أن الغزو الفكري أقوى وأثبت من الغزو المادي، ورأوا أن الاستيلاء على الفكر والقلب أمكن من الاستيلاء على الأرض، فلقنوا إلي محاربة الإسلام والمسلمين بالغزو الفكري الذي كان هو البديل الأنكى من الغزو العسكري. وأما الغزو الفكري الصهيوني فهو من اليهود الذين لا يألون جهداً في إفساد حياة المسلمين الاجتماعية والدينية والسياسية، ومن وسائلهم لبلوغ المرام نشر العقائد الباطلة كالماسونية والقاديانية والبابلية والبهائية وغيرها، ويستعين الغزو الفكري الصهيوني بالنصارى وغيرهم في تحقيق المآرب والأغراض. والغزو الفكري الشيوعي الإلحادي يسير على درب شاكلته إلا أنه يمتاز باللجوء إلى اقتطاف أبناء المسلمين ثم تدريبهم على محاربة دينهم الإسلامي وجعلهم ركائز بلادهم ينشرون الإلحاد والفكر الشيوعي بكل ما لديه من المدد والعون^(١). ولقد اتخذ الغزو الفكري بجميع أنواعه للإسلام والمسلمين ولغتهم، مظاهر عديدة واتجاهات مختلفة في طول الأرض وعرضها حاملاً في طياتها السم إلى العسل، والموت في شكل الدواء. ونظم أصحاب هذا الغزو الفكري حملات متنوعة، منها: حملات موجهة لتشويه القرآن الكريم وفي ذلك يقول المنصر جون تاكلي: "يجب أن نرى هؤلاء الناس (المسلمين) أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد ليس صحيحاً"^(٢). وللغزو الفكري حملات أخرى منها: ما هي موجهة إلى تشويه السنة النبوية، وحملات لتشويه شخصية الرسول الكريم، وحملات لتشويه التاريخ الإسلامي وتراثه، وحملات لتغريب التعليم

العربي والثقافة الإسلامية والنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتغريب الأخلاق والآداب، وتغريب اللسان من لغة القرآن.

المبحث الثاني: ماضي اللغة العربية وحاضرها في نيجيريا:

تعتبر اللغة العربية من أرقى اللغات السامية، أسهمت في تاريخ الحضارة والإنسانية في العالم، وأنارت أوربا فكانت وعاءاً للحضارة الإسلامية العالمية في مشارق الأرض ومغاربها. ولا ينتهي شرفها لعلاقتها بالإسلام فحسب بل هي لغة ذات ثقافة عالية يتكلم بها أمة عظيمة في آسيا وأفريقيا، ولا تستغني عنها في الشؤون الدولية^(١). وكما كانت اللغة العربية لغة كلاسيكية لأهل أفريقيا إذ قد مثلت دوراً فعالاً في احتفاظ تاريخ غرب أفريقيا القديم وثقافته. وفي ما ذكره "ديفدن" دلالة واضحة على أولية تدوين تاريخ منطقة جنوب الصحراء سنة ٦٣٨ الميلادية على يد وهب بن منبه باللغة العربية^(٢).

ولعله من الصواب بمكان، أن اتصال اللغة العربية بنيجيريا يعود إلى القرن الأول الهجري عن طريق القوافل التجارية والعلماء الوافدين والحجاج. ومنذ ذلك الحين كانت العربية في ماضي حياتها تؤدي أدواراً مهمة في المجتمع النيجيري ومن تلك الأدوار، محو الأمية وتعليم الكبار وتوثيق الوقائع التاريخية وتسجيل الدواوين الحكومية الداخلية والخارجية وتأسيس الدولة التي اتخذت العربية لغة رسمية مثل بلاد صكتو وإمبراطورية كانم-برنو وبعض البلاد المحلية في بلاد يوربا^(٣).

أما حاضر اللغة العربية في نيجيريا لا يزال يتضرر بما قد خططته لها الحملة البريطانية منذ احتلالها، للقضاء عليها والنيل من جاهها ويمكن ملاحظة هذا الظلم للغة العربية بالبحث عن مكانتها اليوم عند الحكومة النيجيرية لاسيما تحقير حماة هذه اللغة العربية وثقافتها.

والحقيقة أن هذه الدولة علمانية لا بمعناها الشائع وهو فصل الدين عن الدولة بل بمعناها الحقيقي وهو فصل الدين عن الحياة إذا فالدولة لا دينية أو تقول دنيوية ولذلك ترى على وجهها كراهية ماله صلة بالدين عامة وبالإسلام خاصة لأن المسلمين في هذه الديار جماعة إسلامية لا أمة إسلامية والعربية لغة دينهم وهي في ظاهرها

وباطنها تخدم الثقافة الإسلامية كما تخدم اللغة الإنكليزية والفرنسية في هذه الديار الثقافة الغربية المسيحية^(٣). ولقد نجح الاستعمار البريطاني في البديل الأنكي للعربية ففرض تعليم الإنكليزية على المواطنين بدلا من العربية وغير ذلك. وكل ذلك لم يكن من سبيل الغزو العسكري المسلح بل بالغزو الفكري النصراني بالتعاون مع التيارات المعادية للعربية في هذه الديار. وقد أحدثت آثار هذا الغزو الفكري للغة العربية في نيجيريا أحرانا أذهلت عقول المفكرين المنتوين.

المبحث الثالث: آثار الغزو الفكري ومظاهره تجاه اللغة العربية في نيجيريا:

ذهب الاستعمار وجاء الغزو الفكري أنكي البديل وأخفي السلاح، واستطاع أن يفعل باللغة العربية في نيجيريا ما فعل بها في الدول العربية إذ هو لا يزال يستهدف في غابيتين مهمتين. الأولى: تفريق المسلمين وتفريق اللغة العربية وثقافتها وقطع العربية حتى لا تتم للمسلمين وحدة. الثانية: قطع الصلة بين قديم تراثنا الإسلامي وحديثه وإصاق القرآن الكريم بكل نقص لتحويل أذواق الأجيال الناشئة عنه^(١).

فالمراد بالغزو الفكري للغة العربية في نيجيريا وهو تلك المكائد والوسائل ضد العربية التي كانت في ظاهرها موجهة إلى اللغة العربية لكنها في حقيقتها موجهة إلى القرآن والحديث. ومن المبكي أن يجعل الغزو الفكري للغة العربية سقط المتاع وحماتها عبيد العصا يعيشون علي هامش المجتمع. وهذا، ولا يخفي على كل متبصر، أن آثار الغزو الفكري قد بدأت تظهر تجاه العربية ومدارسها، كما تعرقل مناهجها التعليمية وتعييب شهادات علومها كما تطوي تراثها في سجل النسيان وتصد عن الأعمال الخيرية الخارجية التي توصل جناحها.

هذا، فإن الدكتور على أبوكر ألقى دلوه في تاريخ هذه الغزوات الفكرية المعادية للتعليم العربي في كتابه: الثقافة العربية في نيجيريا، كما أشار إليها الشيخ آدم عبد الله الإلوري في كتابه: الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، ودرسها من كل جانب في كتابه الآخر: الصراع بين العربية والإنجليزية مع رسم الخطوط للقضاء عليها في ذلك الكتاب وجعل مركزه مكان التنفيذ لأرائه ضد الغزوات الفكرية المعادية للعربية.

وشارك الدكتور غلادنت في هذا الموضوع بكتابه: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا.

المبحث الرابع: آثار الغزو الفكري للمدارس العربية:

لا شك في أن الإسلام هو الدافع إلى نشأة المدارس العربية وانتشارها في نيجيريا. ويختلف نظام هذه المدارس العربية باختلاف الفترات الزمنية للعصور الأدبية في هذه البلاد. وقبل الاستعمار البريطاني مع غزواتهم العسكرية والفكرية كان المسلمون في خلال القرن الرابع عشر يشدون الرحال إلى بعض المراكز العلمية مثل كنو وكشنة التي يأتي إليها الوفود من العلماء مثل وفد الوانغراويين في عهد ملك كنو والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في عهد محمد رمقا. ومن الناس من يأخذ خلال السفر إلى الحج بانتهاز الفرصة في استماع إلى علماء الأزهر مثل الشيخ محمد الفلاني الكتاوي الذي اتصل بالشيخ الحسن الجبرتي. وإن لم يتجاوز مستوى المدارس العربية في القرن الرابع عشر مرحلة المدارس القرآنية والمطالب الدينية البسيطة.^(١)

ولما جاء العهد العثماني في القرن الثامن عشر لم تكن المدارس العربية على النظام الرسمي كما نراها اليوم بل طيبت تلك الحكومة الإسلامية معيشة أهل البلاد ولاسيما العلماء حتى كان في استطاعة العلماء أن يفتحوا أبوابهم لجميع الطلاب، وإن لم يتجاوز مستوى المدارس العربية وقتئذ المرحلة القرآنية ومرحلة الدهليز، حيث يتسلح الطالب بجميع الفنون العربية. وهذه المدارس ومناهجها القاصرة ومقرراتها غير المتوافرة استطاعت أن تصنع عباقرة في العلوم والفنون أمثال الشيخ عبد الله بن فودي.

ثم جاء الاستعمار البريطاني إلى نيجيريا حاملا في طياته كل الدسائس والمكائد العسكرية والفكرية لتتصير المسلمين وتغريب ثقافتهم وعاداتهم. ولما رأى البريطانيون أن السبيل إلى تحقيق غايتهم وهو الأخذ بزمانم التعليم، بدعوا معاملة التعليم العربي بكل ما لديهم من الغزوات العسكرية والفكرية، وفي أول أمرهم أثروا استخدام الغزوات العسكرية وسيلة هادفة إلى تحقيق أغراضهم الباطلة تجاه المدارس العربية. ولما رأوا الفشل والمقاومة الشديدة من الجزء الشمالي النيجيري حيث العربية

تتمتع بأرغد عيشها، لجئوا إلى الغزو الفكري الذي كان أخفى السلاح والسم القاتل لمحاربة العربية والقضاء على كيائها في هذه البلاد^(١).

ذهب الاستعمار واحتلت مكانه الغزوات الفكرية التي تتجدد كل يوم منذ الاحتلال البريطاني إلى وقتنا الحاضر، كما تتغلغل في الأذهان للقضاء على الإسلام والمسلمين لاسيما التعليم العربي في هذه الديار. وتراها تأتي مع التكر من الحملة الاستعمارية نفسها أو من أنصارها والمؤيدين لها من المسيحيين وضعاف الإيمان من المسلمين. وكانت الحكومة من أقوى الوسائل لها لتنفيذ أفكارها المعادية للغة العربية في جميع مستوياتها التعليمية.

ونلاحظ آثار هذه الغزوات الفكرية للتعليم العربي بالرجوع والبحث عن الرقود والهبوط الذين يتعلقان بأهداب جميع المراحل التعليمية العربية في هذه البلاد.

أولاً: آثار الغزوات الفكرية في المدارس القرآنية والابتدائية:

كانت المدارس القرآنية تتمتع بالحرية الكاملة قبل القرن العاشر إلى القرن الثامن عشر، وشاء القدر أن تتطور في القرن التاسع عشر أيام السلطة الفودية ثم بدأ تاريخ الغزوات الفكرية للمدارس القرآنية باحتلال القوة البريطانية نيجيريا، ومنذ ذلك الوقت بدأ البريطانيون يصبون جمّ عذابهم على المدارس القرآنية مستخدمين في ذلك كله الغزوات الفكرية المعادية للمدارس القرآنية.

هذا، فإن حركة استخدام الغزو الفكري بدأت بإرسال مطران تغويل (BISHOP TUGWELL) المبشر الأول المبعوث إلى شمال نيجيريا، كنو، عام ١٩٠٠. وفي عام ١٩٠٦ جاء مللر (MILLER) الذي أصبح قائداً بعد رجوع تغويل إلى إنجلترا، واقترح الحكومة إنشاء مدرسة داخلية ذات قسمين: قسم لتربية أبناء الرؤساء والملوك المسلمين، وقسم آخر غير داخلي للناتلين شيئاً بسيطاً من الثقافة الإسلامية، فوافقت الحكومة على ذلك إلا أن الخطة فشلت، ولم تتجح هذه الحملة للمقاومة الشديدة التي أظهرها الشماليون. ولما رأت الحكومة المستعمرة الفشل في هذه العملية الشنيعة، لجئت إلى أن تعير هنس فيشار (HANNIS VISCHER) عام ١٩٠٨ من الإدارة إلى التعليم

ليقوم بتنظيم التعليم في الشمال، وقبل شروع فيشار في هذه الواجبة افتتنت إلى أن ترسله الحكومة ورأت أن ترسله أولاً إلى بعض البلاد المسلمة التي كان الإنجليز يستعمرونها حين ذلك، فتمت زيارته إلى مصر والسودان وغانا، وفي خلال هذه الزيارات استطاع هنس فيشار أن يقف على أسرار النظام التعليمي في تلك البلاد المسلمة فاقترح للحكومة فتح مدرسة حكومية وتم إنشاؤها في كنو عام ١٩٠٩. فلما ظهرت ملامح النجاح في هذه المدرسة أنشأت الحكومة مثلها في صكتو وكشينة عام ١٩١١.^(١)

ولعلنا نشعر مدي تأثير هذه الغزوات الفكرية علي المدارس القرآنية والابتدائية منذ وطئة قديمي الاستعمار على نيجيريا. ويسرني في هذا الصدد أن أعرض ما قاله الشيخ الإلوري في بيان الإستراتيجيات البريطانية في القضاء على التعليم العربي في المدارس القرآنية وتغريب اللغة والثقافة في المدارس الابتدائية في نيجيريا بقول الإلوري:

"في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، أغار المبشرون بخيلهم ورجلهم على بلاد نيجيريا شمالاً وجنوباً فوقف لهم المسلمون على الباب وتصدوهم والمرصاد، وخصوصاً في الشمال، ولكنهم في الجنود وجدوا مجالاً واسعاً... رغم أنهم وجدوا في أكثر المدن الجنوبية مدارس قرآنية في دهاليز المساجد وبيوت العلماء... لم يجدوا إقبالاً عظيماً من أبناء المسلمين... على تعلم الانجليزية، فوقعوا في الأوساط الوثنية والقرى الريفية، فاقترضوا عدداً من أبناء الفقراء والفلاحين فضاعت من هؤلاء... عقيدتهم واستبدلوها بالنصرانية إلا قليلاً منهم في الشمال والجنوب. ذلك قام حماة الإسلام ينصحون المسلمين لها... من الوقاع في حبال التبشير... جاء إلى نيجيريا بعض العرب المغاربة الشريف... والشامي من العرب المشاركة فأسسوا جمعيات إسلامية ومدارس عربية كما جاء مستشرق انجليزي... اسمه... (ويلمت بليدن)... كان يجيد العربية... وأدرك المسلمين في تأخر وتخلف بعيد في ميدان التعليم الانجليزي، فسألهم عن السبب فأجابوا أنهم يخافون من ضياع غنيمة أولادهم بدخول تلك المدارس، فأجابهم أن الخطب يسير والحل الوسط موجود... فطلب فتح مدرسة خاصة

لأبناء المسلمين... في لا غوس... وكانوا... فبدأت المدرسة تؤدي رسالتها... ثم عملت الشحنة عملها في نفس رجال الكنائس فقاموا... بالاحتجاجات... على إسقاط كلمة إسلامية من اسم المدرسة... ومن هنا انتبه المسلمون بما يبنيه المسيحيون من شر... فعزموا على إنشاء الجمعيات الإسلامية.^(١)

وملامح هذه الغزوات الفكرية للقضاء على المدارس القرآنية لا تزال تشتعل نيرانها في حياة اللغة العربية. وذلك في اندراس المدارس القرآنية والدليل على ذلك على التفاتنا إلى تلك المدارس القرآنية التي تعلم فيها كلنا والتي فتحت عيوننا، فإنها بلا أدنى شك قد ذهبت بأكثرها العناء لأسباب لا محل لها من الإعراب في هذا المقام. فخلاصة القول في تلك الأسباب أن الحكومة البريطانية لم تشجع تلك المدارس القرآنية كما شجعتها الحكومية الإسلامية التي أسقطوها. والحقيقة أن هذه المدارس القرآنية قد أسهمت في محور الأمة في فجرها وضحاها. لقد استطاع الغزو الفكري أن ينجح في تفريق صفوف المسلمين باستخدام الأيدولوجيا القاتلة: "قرق تسد" فأنشأ أول مدرسة داخلية مع تقسيمها إلى قسم لأبناء الرؤساء والأمراء المسلمين وقسم آخر لمن دونهم، فانقسم المسلمون إلى فريقين فريق يؤيد هذا الرأي الغربي وفريق آخر ينكره. وجهلوا الكتابة بالحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية كما جعلوا اللغة الإنجليزية لغة الدولة مع فرضية النجاح فيها في الامتحانات.^(١)

ومن الغزوات الفكرية أن أدخلت الحكومة اللغة العربية والدين في المواد التي تدرس في المدرسة بعد الطلب الشديد من الآباء والأمراء ومع ذلك لم تقم الحكومة بفعل أي شيء يساعد على نشر هذه اللغة وبث الثقافة الإسلامية، ولم توضع للعربية والدين أي منهاج بل كان كل مدرس يدرس ما شاء بما شاء وكيف شاء. واستمر الحال إلى حوالي خمس وعشرين سنة حتى أقيم مؤتمر لوضع المناهج في كنف عام ١٩٣٨م فوضع هذا المؤتمر في آخر جلساته منهاج للغة العربية والدين في المدارس الابتدائية إلا أن الحكومة رفقت مع المناهج رسالة لشرح المناهج وفي الرسالة دلالة واضحة عما تضرره الحكومة للغة العربية من الغزوات الفكرية^(٢). ولعل هذه الصدمة

الأولي للغة العربية هي السبب في نظرة الاحتقار والهوان إلى اللغة العربية في المدارس الابتدائية اليوم.

ثانياً: آثار الغزوات الفكرية في المدارس الإعدادية والثانوية:

كان التصير من الغزوات الفكرية البريطانية في المدارس الإعدادية والثانوية وليس من استطاعة هذه المدارس وقتئذ قضاء حاجة المسلمين وإعطاء اللغة العربية والمواد الإسلامية حقها.

فأنشئت في سنة ١٩٣٠م في كل من صكتو وكنو مدرسة الشريعة على نظام المدرسة الحديثة وكان الطلبة فيها يتعلمون اللغة العربية والشريعة الإسلامية وبعد ذلك جاء الأمير عبد الله بايرو بأفكار جديدة بعد عودته من الحج فأسس مدرسة عربية منظمة (الإعدادية والثانوية) تعرف بمدرسة الشريعة الكبرى في سنة ١٩٣٤^(١).

ثم بدأ تأسيس المدارس العربية الأهلية بالمرحلتين الإعدادية والثانوية ومن هذه المدارس ما كانت علي غرار المدارس الحكومية المسيحية كما فعلت جماعة أنصار الدين، ومنها ما اغترت بتضمين التعليم الإنجليزي في مناهجها كما هو الشأن في مدرسة العلوم الشرعية، وأسست بعض المدارس الإسلامية التي أبعدت الإنجليزية من مناهجها، كفعل الشيخ الإلوري في مركزه^(٢).

ومن الغزوات الفكرية التي حدثت للمدارس الحكومية التي أسسها المسلمون علي غرار المدارس الحكومية المسيحية أن قلّ من بين متخرجي هذه المدارس من يمدّ يديه لمناصرة الدين الإسلامي وكانت حالة كالسكر الواقع في الماء. وكذلك تأتي مصيبة الغزوات الفكرية للمدارس التي جمعت بين التعليم العربي والإنجليزي وذلك في الصراع اللغوي والثقافي الذي كان ينتصر فيه الإنجليزي في أكثر الأحيان. والدليل علي ذلك هو ما نراه اليوم في أوساط طلبة المدارس العربية الحكومية والأهلية التابعة للحكومة من الضعف اللغوي والثقافي، ليس لهم الأهلية المرجوة في العربية ولا في الإنجليزية، وحتى لو كانت لهم في الإنكليزية أهلية فإن سياسة التعليم النيجيري تحرمهم عن الانضمام إلي قسم إنكليزي. وأما المدارس العربية التي أبعدوا عنها التعليم الإنجليزي فإن البلاء يأتي من ناحية تحقير الحكومة لشهادتها. ولا تعتبر

للعمل الحكومي ولا للتقدم الدراسي وغير ذلك. وجزي الله جميع المفكرين التربويين المسلمين الذين فكروا في هذا الشأن فأنشؤوا في كليات التربية قسم اللغة العربية الواسطة (قسم الدراسات الإسلامية و التربية بالعربية) فإن هذا القسم الجديد من نوعه قد أعطي لأبناء المسلمين في المدارس العربية الأهلية كل عز وفضل للتقدم الدراسي، إلا أن فتنة التحقير للشهادات تحرك رأسها عند الالتحاق بالجامعة وذلك في فرضية النجاح في المادة الإنجليزية في الشهادة الحكومية أو المعادلة:

ظومن الغزوات الفكرية للغة العربية في المدارس الإعدادية والثانوية الحكومية تضيق مقام اللغة العربية وفرضت اللغة الفرنسية على الطلبة، كما جعلتها اللغة الرسمية الثانية في هذه البلاد، واللغة العربية في السياسة التعليمية الوطنية اختيارية قيقة أن العربية أحق باحترام الحكومة لعلاقتها بالدين واللغة ومن آثار الغزوات الفكرية في المدارس الحكومية للغة العربية محو التراث العربي وذلك في إسقاط الشعار العربي الإسلامي من لوائح المدرسة^(١).

ثالثاً: آثار الغزوات الفكرية في الجامعات:

لم يكن الشعب النيجيري يطالب الحكومة بإنشاء جامعة في العقود الأولى بعد دخول البريطانيين إلى هذه البلاد لعدم الوعي القومي، فالحكومة في غزواتها الفكرية لا تحتاج إلى الدراسات العالية لأبناء هذه البلاد.

وأما تاريخ التعليم العالي للغة العربية في نيجيريا فبدأ بسفر الطلبة إلى الأزهر الشريف أو إلى الحلقات العملية في الحجاز، لدراسة العربية والدين الإسلامي ثم تبع ذلك البعثة بواسطة الحكومة إلى مصر في أوائل الخمسينيات. وكان من آثار تلك البعثة وجود المنح الدراسية إلى مصر العربية ١٩٦٢ وإلى السودان في سنة ١٩٦١-١٩٦٢ وإلى الجامعة الإسلامية بالمدينة عام ١٩٦٢ ثم العراق ١٩٦٣م. لقد أثمرت هذه البعثات خيراً كثيراً للتعليم العربي العالي إلا أنها لم تتج من الغزوات الفكرية وذلك في إجراءات الحكومة البطيئة عند إرسال البعثة واختيار غير أكفاء.

وطابت الحالة للتعليم العالي في الجامعات النيجيرية أن أنشئ قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة إبادان عام ١٩٦١م ولكن الحكومة كانت لا

تُعادي اللغة العربية وذلك أن القسم كان على أنماط الدراسات شرقي في إنجلترا وفي سنة التي استقلت جامعة إيدن التابعة للندن، أنشئت جامعة شمال نيجيريا التي سميت فيما بعد بجامعة أحمد بلو وذلك في عام ١٩٦٢م^(١). وكانت من كلياتها كلية عبد الله بايرو التي أسست منها الجامعة قسما خاصا باللغة العربية والدراسات الإسلامية. والجامعة كانت تحاول ربط الجامعة بالمجتمع تعيش فيه وتتبنى تقاليد أهلها وثقافته كما تتحاشي بعض الأخطاء التي ارتكبتها جامعة إيدن في مرحلتها الأولى. والمهم في هذا المقام ليس سرد قصة تاريخ التعليم العربي في الجامعات النيجيرية ولكن المهم هو تسليط الضوء على تلك الغزوات التي تشن ضد التعليم العربي في تلك الجامعات.

ولقد لاحظ الشيخ الإلوري مدي تأثير هذه الغزوات الفكرية في جامعات نيجيريا التي كادت تجعل القسم العربي في الجامعات أضحوكة المفكرين وسخرية المستهزئين في الداخل والخارج، كما رأي الشيخ الإلوري أنه من الغزوات الفكرية اللغة العربية في الجامعات تعليمها باللغة الإنكليزية كما هو الحال الآن في بعض جامعات الجنوب النيجيري وجزء قليل من الشمال^(٢) ومن هذه المكائد والدسائس الاستعمارية استقلال أقسام اللغة العربية عن أقسام الدراسات الإسلامية في الجامعات والمعاهد العليا لتسهيل الدرب في فصل اللغة العربية عن الدين الإسلامي، وكذلك شأن الحكومة في جمع بين قسم العربية والإسلامية في بعض الجامعات لقتل المهارة في تخصص الطلبة.

ومن الغزوات الفكرية للغة العربية في الجامعات حصر العربية في الميادين الأدبية. ورغم أن اللغة العربية كانت من أرقى اللغات العالمية في العلم والحضارة ولا تزال في إمكانها منافسة الحضارة المعاصرة، ولذلك لم نسع الحكومة في فتح المدارس التي تدرس العلوم والتكنولوجيا بالعربية بالمرحلة الثانوية لكيلا يطيب له المقام في الجامعة لدراسة العلوم والتكنولوجيا. ومن الغزوات الفكرية في سياسة التعليم الوطنية للتعليم العربي والديني في هذه الديار فتح جميع الأبواب لإنشاء الجامعة الأهلية في هذا الوطن. ولا تزال تلك الجامعات الإسلامية القليلة مقيدة بقيود تخرجها عن نطاق الإسلام.^(٣)

الخاتمة:

ذهب الاستعمار بعد الاستقلال واحتلت مكانه الغزوات الفكرية التي تغير بنجلها ورجلها على الحياة الاجتماعية و السياسة والاقتصادية والتعليمية في جنوب نيجيري وشمالها. وقد فعلت بنا الغزوات الفكرية البريطانية مثل ما فعلت بغيرها في أقطار العالم فكانت آثارها تشتعل نيرانها تأكل الصالح والطالح من أبناء هذه البلاد العزيزة. فإن هذا البحث محاولة في بيان تاريخ المؤامرات والغزوات الفكرية للتعليم العربي في نيجيريا، مع الإشارة إلى آثارها في الدراسة العربية بجميع مراحلها التعليمية وتتمحور الغاية من هذه الورقة في تنبيه المهتمين بأحوال التعليم العربي النيجيري وإثارة قلوب المفكرين المتتورين للسعي والجد لرسم خطوط تعيد الحياة للتعليم العربي في هذه الديار حتى لا نبني على الهواء ونكون على سير السلف في مقاومة هذه الغزوات الفكرية من جميع أنواعها.

الهوامش:

- ١- الفيروزبادي، بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، الجزء الرابع ص ٣٢٩
- ٢- القاموس العربي الشامل، طبعة أولى، دار الراتب الجامعية بيروت، ص ٤١٥
- ٣- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت، ص ٦٥
- ٤- ابن باز، (عبد العزيز شيخ) "مجموع فتاوى ومقالات متنوعة" (١٤١١) طبعة ثانية، ج ٣، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ص ٤٣٨١-علي عبد الحليم محمود (دكتور)، "الغزو الفكري التيارات المعادية للإسلام"، (١٤٩٦هـ) من منشورات مؤتمر الفقه الإسلامي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ص ٩.
- ٥- نذير حمدان، الغزو الفكري المفهوم-الوسائل-المحاولات، مكتبة الصديق، الطائف ص ٢-٧ .

- ٦- عاشور، سعيد عبد الفتاح (دكتور)، التاريخ السياسي، (١٩٨٥هـ)، جزء أول، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، طبعة سادسة، ص ٢٦٥.
- ٧- رزق الطويل، (الأستاذ الكرسي)، من قضايا اللسان العربي دراسة في الإعراب والبنية، (١٩٩١هـ) جزء ثاني، دار الهدى للطباعة القاهرة، ص ١٨.
- ٨- محمد محمود الصواف، (١٣٩٩هـ) المخططات الاستعمارية لمكافئة الإسلام، طبعة ثالثة، دار الإصلاح، الدمام، ص ٣٥٩-٣٥٤.
- ٩- مصطفى خالدي، عمر فروخ، التبشير والاستعمارية في البلاد العربية، (١٩٨٣) المكتبة العصرية، بيروت ص ٤٠.
- ١٠- سلمان أينلا هارون، "مشاكل اللغة العربية في المرحلة التعليمية الإعدادية في نيجيريا" مجلة اللسان (٢٠٠٥م) العدد الثالث، مطبعة ألبي إلورن، ص ١٤٨.
- ١١- الفيروزبادي، بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، الجزء الرابع ص ٣٢٩
- ١٢- القاموس العربي الشامل، طبعة أولى، دار الراتب الجامعية بيروت، ص ٤١٥
- ١٣- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت، ص ٦٥
- ١٤- ابن باز، (عبد العزيز شيخ) "مجموع فتاوى ومقالات متنوعة" (١٤١١) طبعة ثانية، ج ٣، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ص ٤٣٨
- ١٥- الإلوري، آدم عبد الله. الصراع بين العربية والإنجليزية في نيجيريا، ١٤١١هـ دار الكتب المصرية، القاهرة، ص ٣.
- ١٦- انظر: رسائل ملك إبادن في مركز تقييد المخطوطات العربية، جامعة إبادن.
- ١٧- الإلوري، آدم عبد الله الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، (١٩٨٥) طبعة أولى مكتبة وهبة، القاهرة، ص ١٣. والسعدوتي، جمال الدين صبحي (١٤١٣هـ) مسابقات وثقافات، دار ابن حزيمة، الرياض ص ٩٢.

- ١٨- المصري، جميل عبد الله (١٩٨٩م) حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، الجزء الأول، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة، ص ١٤٢.
- ١٩- غلادنت، أحمد شيخو، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، طبعة ثانية، ص. ١٢١- انظر: غلادنت، حركة اللغة العربية، ص ٧٩، كيف قام معير هنس فيشار (Hannas Vischer) بالزيادة إلى بعض البلاد المسلمة التي استعمرها الإنجليز لتسهيل منافسة المدارس العربية.
- ٢٠- انظر: Graham, S.P Government and Mission Education: Ibadan Press, 1966 p 11
- ٢١- الإلوري، المرجع السابق، ص ٩-١٣١- جمبا، مشهود محمود، "كتابة لغة يوربا بالحروف العربية نشأة وتطورا"، مقالة غير منشورة ص ٤.
- ٢٢- راجع: غلادنت أحمد شيخو، المرجع السابق، ص ٨٤
- ٢٣- غلادنت: المرجع السابق، ص ٨٤
- ٢٤- حمزة أشولا عبد الرحيم: "الشيخ الإلوري والصراع اللغوي بين العربية والانجليزية في نيجيريا" ١٩٩٧، ص ١.
- ٢٥- حدث مثل هذه الغزو الفكري للتراث العربي الإسلامي في مدرسة G.S.S إلورن، وذلك في حذف شعار المدرسة "العلم نور".
- ٢٦- غلادنت: المرجع السابق ص ٢٢٥.
- ٢٧- الإلوري، آدم عبد الله: نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي، ١٩٨٠، دار المعرفة، بيروت، ١٢٦.
- ٢٨- زر جامعة الحكمة بمدينة إلورن التي تعتبر أولى الجامعات الإسلامية في نيجيريا، تر كيف تجرى فيها الحياة الاجتماعية والإدارية والأكاديمية.